محاضرة (04): التأسيس لعلوم الإعلام والاتصال (جزأين)

1/تحديد المفاهيم:

_**التأسيس:** يقصد به وضع مجموعة من القواعد والأسس الخاصة، بعد سلسلة كبيرة من التجّارب، من طرف أهل الاختصاص في مجال معين، حيث تُعد المرحلة الأولى قصد التحكم في الوقت، توجيه الجهد وتفادي الوقوع في التكرار.

_**التأسيس النظري** :هو وضع الباحثين والناشطين في حقل نظري معرفي مُعين، لمجموعة من القواعد والأسس العلمية، ولا تحمل هذه القواعد صفة العلمية إلا بعد العديد من الدراسات والوصول إلى نفس النتائج، لتكون مرشدا علميا تُوجه الدارسين نحو دراسة معينة وتسمح لهم بالتحكم في مسار بحثهم من خلال هذه القواعد، بالإضافة إلى توفير الوقت، كونهم لا يقومون إلا بإسقاط هذه الأسس النظرية على موضوع بحثي للتأكد من صوابه أو خطئه.

2/الأعمال المؤسسة لنظريات الاتصال:

2_1/السيبرنطيقا (La cybernétique):

السيبرنتيك كلمة جديدة ظهرت بمعناها الحالي في سنة 1948 م عن طريق العالم الأمريكي نوربرت وينر Weiner Norbert بكتابه الأول " السيبرنتيك " أو التحكم والاتصالات في الكائن الحي وفي الآلة" " Cyberneties of the science of control and communication processes in both Animal and machine"، لقد استوحى وينر هذه الكلمة من اللّغة اليونانية من كلمة Kubernetes أي القيادة وكان يقصد بها قيادة الربان للسفينة.

_**تعريف السيبرنتيك**: هي المحاكاة المنطقية بين الإنسان ووسطه ليصل إلى هدف معين ومرسوم يُمَكن من بذل مجهود أقل للحصول على نتائج أفضل.

لقد كانت الحرب العالمية الثانية نقطة بدء وتحول في التوسع السريع لكثير من العلوم التقنية التي ساعدت في تحسين الآلة واستخدامها بشكل متطور ونخص بالذكر هنا العلوم الإلكترونية التي أوجدت الكثير من الحلول لكثير من المشاكل وخاصة بالنسبة للسرعة في التنفيذ وفي نقل المعلومات والإجابة على المعطيات بعكس الآلات الميكانيكية التي كانت بطيئة جداً في توفير الحلول اللاّزمة.

وبالعودة إلى كتاب العالم **وينر** عن السيبرنطيقا وكونها المجال الكامل لنظرية التحكم والاتصال في الآلة وفي الحيوان على السواء نرى أن السيبرنطيقا ليست سوى محصلة لتطور الآلة والإنسان عبر الزمن وسعي هذا الأخير إلى إيجاد آلات قادرة على محاكاته وأن تنوب عنه في عمله وعليه يمكننا القول بأن **وينر** استطاع الجمع بين علوم متعددة واستطاع أن يوجد الصلة بينها وخاصة المتعلقة بعلوم الوظائف وعلم النفس والاجتماع مع علوم التحكم والقيادة وذلك بعرضه لنظريات الفيزياء الحديثة كالميكانيكا الإحصائية ونظرية السلاسل الزمنية ونظرية الإعلام ونظرية المفعول الرجعي في الميكانيكا باعتبار أن ذلك مطابق لروح السيبرنطيقا أي أن العالم **وينر** جمع تحت تسمية واحدة عدة مذاهب أصبحت راسخة الأساس وأثبت كل منها قيمته الفعالة في مجاله الخاص.

2_2/نظرية المعلومات (La théorie de l'information):

تبلورت نظرية الإعلام مع الرياضي الأمريكي كلود شانون (Claude Shannon) وهو مهندس في شركة بل للهاتف، وقع عام 1949 مع عالم الرياضيات وارن ويفر (Waren Weaver) أول نظرية في الاتصال: نظرية المعلومات التي تسمح بحساب كميّة المعلومات عبر فصلها عن معناها. فنظرية شانون لم تهتم بمعنى المعلومات، بل بنقلها واستقبالها، تاركة ادراك المعنى

للإنسان. ولدت نظرية الإعلام من التطبيق في شبكات الهاتف في الشمال الأمريكي إلى أنظمة الاتصالات، من خلال نموذج: مرسل، إشارة، مستقبل _Emetteur-Signal-Récepteur_ وما يمكن أن يرافق هذه العملية من تشويش (Bruit).

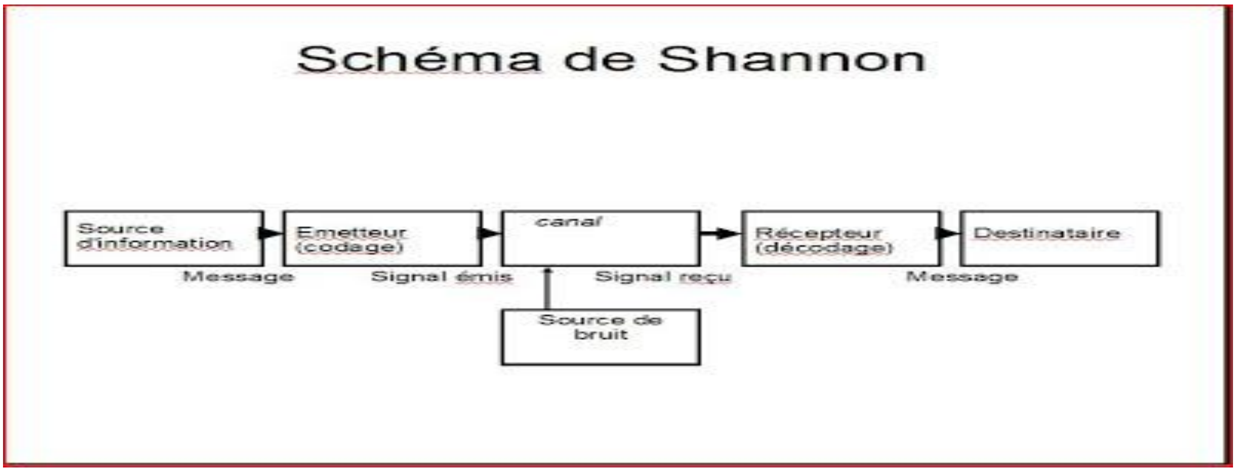

3_2/مساهمة جاكبسون (Roman Jakobson):

تتمثل رؤية اللّغوي **رومان جاكبسون** الذي يتبنى نموذج شانون في ترسيمية الاتصال (Shéma de la communication)، والتي تتألف من ستة عناصر:

_المرسل (Emetteur): الذي ينشىء الرسالة أو الخطاب، وقد يكون شخصا واحدا أو عدة أشخاص.

_إرسال الرسالة: وهي مضمون الاتصال (النص).

_مستقبل أو متلقي (Récepteur, Receiver): وهو يمكن أن يكون فردا واحد أو أكثر ممن يشاهدون فيلما أو عرضا تلفزيونيا.

_الرمز (Code): وقد يكون لغة، صورة، حركة، أو صوتا.

_قناة (Canal): أو أداة اتصال وهي الوسيلة المستخدمة في ايصال الرسالة، والأداة قد تكون سمعية أو مرئية.

_السياق: هو الموقف الذي ترسل فيه الرسالة، ويساعد على تحديد معناها.

الرسالة (المضمون)

المرسل ــــــــــــــــــــــــــــ **المتلقي**

أداة الاتصال (الرمز)

وضع **رومان جاكبسون** هذا النموذج اللّساني الوظيفي التواصلي وقد أثبته في كتابه:" اللسانيات والشعرية" سنة 1963م ، حيث انطلق من مسلمة جوهرية، وهي أن التواصل هو الوظيفة الأساسية للّغة، وارتأى أن للّغة ستة عناصر أساسية، ولكل عنصر وظيفة ما:* المرسل:وظيفة انفعالية، * الرسالة:وظيفة شعرية، *المرسل إليه:وظيفة تأثيرية، *القناة: وظيفة حفاظية، * السياق: وظيفة مرجعية، * اللّغة:وظيفة وصفية. كما هو موضح في الشكل التالي:

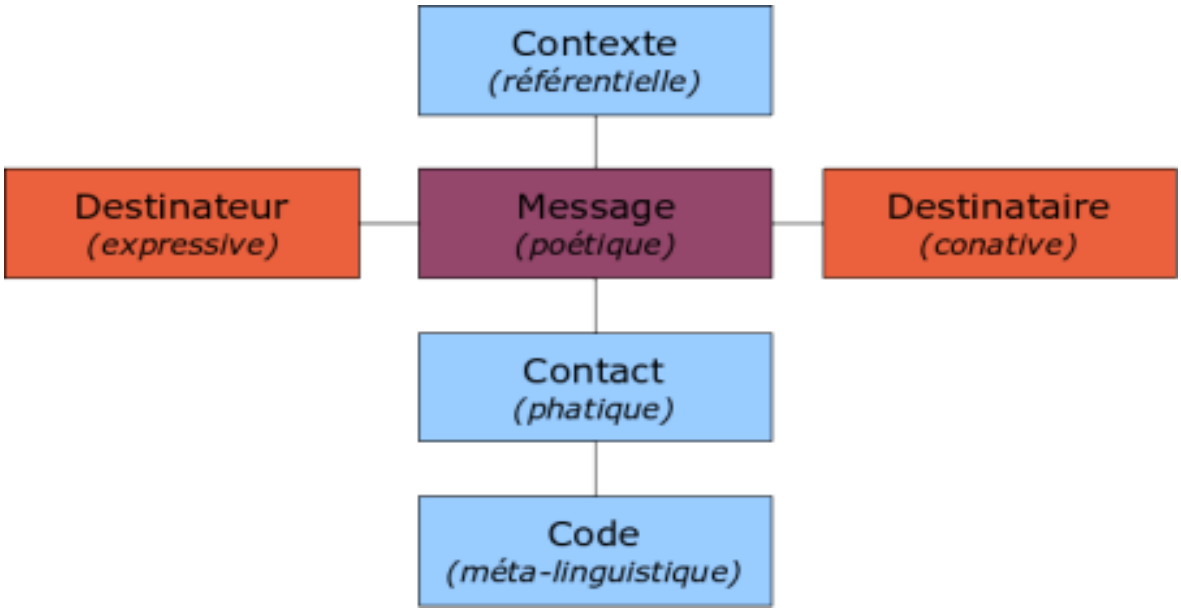

2_4/البلاغة الجديدة (La nouvelle rhétorique):

دشّن الفيلسوف البلجيكي **شايم بارلمان** (Chaim Perelman) والبنيوي الفرنسي (Roland Barthes) كُلٌ على طريقته، في خمسينيات وستينيات القرن الماضي ما عُرف بالبلاغة الجديدة أو التعبير الجديد، باعتباره المكوّن الضروري لمجتمع الاستهلاك (La société de la consommation) أين فرّضت الدعاية نفسها، وفرّضت أنماط الحياة هذه البلاغة الجديدة. حيث نجد في قلب النظام الإعلامي طاقة لا تتوقف للتلاعب بالعلامات (Signaux)، واستخدام وسائل الإقناع القديمة المنقولة عن البلاغة القديمة[1] (La rhétorique ancienne) ولكن بانعكاس جمالي أيضا.

لا يرى **بارلمان** أي فرق بين البلاغة والحجاج مادام هدفهما واحد هو الإقناع والتأثير على حد سواء. وأكثر من ذلك، فالبلاغة حجاجية بامتياز. ويعني هذا أن الصور البلاغية والمحسنات البديعية ذات وظيفة حجاجية ليس إلا. ومن ثم، يقترن اسم بارلمان بالبلاغة الحجاجية. ومن أهم الكتب التي تعبر عن توجهاته البلاغية الجديدة كتابه (مختصر البلاغة) الذي ألفه بشراكة مع **أولبريخت تيتيكا**.

أما بخصوص **رولان بارث** فهو يُعتبر واحدا من مبدعي النقد الجديد في فرنسا من خلال كتابه (Le degré zéro de l'écriture_الدرجة صفر من الكتابة) و(متعة النّص Le plaisir du texte_)، حيث فرّق بين بين دلالة الكلمة المعجمية (Dénotation): المعنى الحرفي والمعاني الأسطورية(Connotation) أي ظلال المعاني، والمعاني الأسطورية هي نظام من الرموز، والرمز يمكن أن يكون صورة في مجلة.

قام **رولان بارث** بتطبيق البلاغة، وخاصة ثنائية التقرير والإيحاء، على الأنظمة السيميولوجية غير اللّفظية، مثل: الموضة ، والطبخ، والإشهار، والأزياء، والصور...الخ، بل يعد من أهم الدارسين للصورة الإشهارية في الغرب على المستوى السيميائي والبلاغي سيما في دراسته (بلاغة الصورة الإشهارية). وقد ارتأى أن دراسة الصورة تستوجب التركيز على دراسة الرسالة اللّغوية، والصورة التقريرية، وبلاغة الصورة. وقد خصص الإشهار بدراسات قيّمة كما في كتابه (عناصر السيميولوجيا)،

[1]تمتاز البلاغة القديمة بطابعها التعليمي المعياري والبياني، فقد كان هدفها الأساس هو تزويد المبدع أو الكاتب المنشئ بمجموعة من الأدوات التي يحتاجها في مجال الكتابة الفنية والجمالية بغية اكتساب ملكة الفصاحة والبلاغة. ومن جهة أخرى، اهتمت بدراسة الصور البيانية من تشبيه، واستعارة، ومجاز، وكناية، وتشخيص، ودراسة علم المعاني من خبر وإنشاء، وحصر وقصر، وإطناب ومساواة وإيجاز، واستعراض المحسنات البديعية من سجع، وجناس، وطباق، ومقابلة، وتورية، وتضمين، وتكرار، وغيرها .

وكتاب(المغامرة السيميولوجية). علاوة على ذلك، تتضمن الرسالة الإشهارية ثنائية التعيين والتضمين، أو ثنائية التقرير والإيحاء. أي: إن هناك رسالتين متداخلتين ومتقاطعتين: رسالة تقريرية حرفية إخبارية في مقابل رسالة تضمينية وإيحائية. ويعني هذا أن هناك رسالة مدركة سطحيا ورسالة مقصدية مبطنة.

2_5/مدرسة بالو آلتو (L'école de Palo Alto):

اشتهرت مدرسة "بالو آلتو" بدراسة الاتصال بين الأشخاص (Communication inter-personnelle) وتشكلت في "بالو آلتو" جنوب سان فرانسيسكو في الولايات المتحدة الأمريكية. انتقدت مدرسة بالو آلتو مخطط جاكبسون –الخطي- واقترحت مكانها نموذج "الأوركسترا" النسقي التفاعلي، حيث يشارك الأفراد في عملية التبادل، وكل يقوم بدوره في عملية الاتصال. فالتواصل الاجتماعي يشبه الأوركسترا، حيث أن أفراد ثقافة ما يشاركون في التواصل كما يشارك الموسيقيون في الجوقة، ولكن من دون رئيس، فالبعض يرشد البعض الآخر، فحضور الفرد يكون من خلال التواصل، كما أكد السيكولوجي واتسلافيك (P.Watzlavik) في عبارته الشهيرة: "لا نستطيع إلا أن نتواصل".

والتواصل هو سيرورة دائرية بحيث تحدث كل رسالة نقدية مراجعة (Feed_Back) لدى المُخَاطَب (المتكلم إليه) ويعني هذا ارتداد الأثر وعودته إلى مسبّبه. فالسيّرورات التواصلية هي مجموعة من التأثيرات والانطباعات المراد تحقيقها لدى المستقبل.

إن المبادئ الأساسية التي تعتمدها المقاربة النسقية مدرسة (بالو آلتو) في نظرتها إلى السيرورة التواصلية، على الشكل التالي:

_إن التواصل ظاهرة تفاعلية، حيث أن الوحدة الأساسية لهذه الظاهرة لم تعد هي الفرد (كما كانت تقدمها السيكولوجيا التقليدية) بل هي العلاقة التي تنشأ بين الأفراد (العائلة ، الفريق ، التنظيم ...) والتي هي استجابة لتدخل الآخر.

_إن التواصل لا يختزل في الرسالة اللفظية، لأن أي سلوك اجتماعي له قيمته التواصلية.

_يحدد التواصل داخل السياق المسجل فيه، لأن السياق إطار رمزي حامل لقيم وقواعد ونماذج و طقوس للتفاعل.

_إن العلاقة بين المتحاورين تتأسس حسب نموذجين كبيرين : النموذج التماثلي والنموذج التكاملي. الأول يحدد العلاقة التعادلية حيث تكون سلوكات المتحاورين انعكاسية، وفي الثاني يعتمد المتحاورون سلوكات متباينة تحاول التوفيق بين الطرفين. ويمكن للعلاقة التكاملية أن تكون تراتبية، بمعنى أن تأخذ مكانة " عليا " أو مكانة " دنيا ".

_فرضية أخيرة أساسية تنطلق منها هذه المدرسة هي أن معظم أشكال الأمراض العقلية، يمكن أن تعود إلى اضطرابات أو اختلال في التواصل.

2_6/مدرسة التفاعلية الرمزية:

وهي مدرسة أمريكية خالصة وتسمى أيضا مدرسة شيكاغو، تأسست من قبل مجموعة من الأساتذة الجامعيين على رأسهم جورج ميد، وتهتم التفاعلية الرمزية بالمعاني والصور التي يشكلها الأفراد عن الأشياء وعن بعضهم البعض.

كما ركّزت المدرسة الرمزية على المعاني المتحركة في ذهن المتلقي بعد تلقيه للرمز، ويرى **كولي** أن هذا التحرك يكون آليا إذا مر الشخص بتجارب حياتية سابقة حول موضوع معين، فالشخص لا يتفاعل مع الرمز إلا إذا تعرض له سابقا في تجربة شخصية فيفهم الموضوع وفقا لها في إطار ما يسمى بالتأويل الشخصي، ولما كانت التجارب مختلفة بين الناس اختلفت

التآويل الشخصية، أو بالأحرى المعاني والصور المرتسمة في الذهن وللإشارة فالرمز كما عرفه **غاي بوشر** هو ذلك الشيء الذي يحل محل شيء آخر أو يذكر به، والمدرسة الرمزية بنيت على عدة ركائز أساسية أهمها :

البناء المشترك للمعاني: وصاحب الفكرة هو جورج ميد، فنتيجة تعدد التآويل الشخصية وقصد الحصول على بناء مشترك للمعاني دعى إلى فكرة وهي أخذ دور الآخر حيث يتقمص المتلقي دور القائم بالاتصال لتقريب رسم نفس المعاني والصور بأكبر قدر ممكن، والجدوى من كل هذا هو التفاعل الاجتماعي بين الأفراد، فكلما تفاهموا واشتركوا في المعاني وبنائها ازداد التفاعل بينهم وهذه وظيفة وسائل الاتصال الجماهيري.

أما الافتراضات التي انطلقت منها المدرسة الرمزية فهي :

- **أن المجتمع ينشأ ويستمروجوده بتوصيل الرموز الدالة** وبالتالي لا يمكن تصور نظام اجتماعي دون اتصال.

- **النظام الاجتماعي يتم التعبيرعنه من خلال** نظام تسلسل يصنف أفراد المجتمع إلى مراتب وطبقات اجتماعية، أي أن المجتمع مقسم وفق تطوره وتقسيم العمل بين أفراده ، وكل فئة من فئاته تتمسك برموز خاصة بها تعبر عن دورها ومركزها والتي لا تتغير إلا بتغير المجتمع.

- **النظام الاجتماعي ينشأ ويستمربقاؤه** في الدراما الاجتماعية بفعل التمثيلات المشتركة والأدوار الكوميدية التي يعتقد أن أداءها ضروري لبقاء الجماعة.